﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة: 35-37]

❁ مُنَاسَبَةُ الآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أظهر الله ﷻ لِلْمَلَائكةِ فضلَ آدم عليه السلام مِنْ عِلْمِهِ وخِلَافَتِهِ وإسجادهم لَهُ، وأظهر إباءَ إبليس واستكبارَهُ وخُبْثَ طَوِيَّتِهِ؛ بيَّنَ الله تعالى من أحوالِ آدمَ عليه السلام ما يُقابلُ ذلك؛ فذكَرَ حَظَّهُ مِنَ المخالفةِ، ولمَّا كان ذِكْرُ المخالفةِ قد يُتَوَهَّمُ مِنْهُ مشاركةٌ للشَّيطانِ فِيهَا؛ بيَّن سُبحانه فضلَ آدمَ عليه السلام في رجُوعِهِ بالتَّوبة كحَالِ رُجُوعِ الملائكةِ بالتَّسْلِيم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱسْكُنْ﴾: يدُلُّ جذر هذه المادَّة – وهو السِّين والكاف والنُّون– على الاستقرار[2]– ضدِّ الحركة والاضطراب[3]، ومِنْهُ قولُهم لكُلِّ شَيْءٍ مَاتَ: قد سَكَنَ[4]؛ لذهاب حركتِهِ، ومِنْهُ سمِّيت النَّارُ سكَنًا؛ لأنَّها مُعِينةٌ على الاستقرار والإقامةِ؛ إذْ بها يُعدُّ الطَّعامُ ويُستدفأُ ويُستضاءُ[5]، وسكَنَ بالمكانِ: أقامَ فِيهِ[6].

ومعنى: ﴿ٱسْكُنْ أنت وزوجك ٱلْجَنَّةَ﴾ أي: اتَّخِذاها سكنًا، ومكانًا تقيما فِيهِ[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/281.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (سكن).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سكن).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (سكن).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (سكن).
(6) ابن سِيده، المحكم: (سكن).
(7) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/250، والسَّمين، عمدة الحفَّاظ: 2/208.

2) ﴿رَغَدًا﴾: تدور أكثرُ اشتقاقات مادَّة الرَّاء والغين والدَّال على معنى طِيبِ العيش واتِّساعه[1]، ومن طِيبِ العَيْشِ: أنْ لا يُعْيِيَ صاحبَهُ[2].

وأصل الرَّغَد: كَثْرَة الغَيْث[3]، وَيَنْتُجُ عنه خَصْبٌ وسَعَةٌ في الأرزاقِ، يقال: أرْغَدَ فلانٌ؛ إذا صار في خَصب وَسَعَة[4].

والرَّغَدُ في قوله: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾؛ نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ تقديرُه: أَكْلًا رَغَدًا، والمعنى: أَكْلًا هَنيئًا واسعًا دُونَ حسابٍ[5].

3) ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾: تصاريفُ هذه المادَّة -وهي الشِّين والجيم والرَّاء - تدلُّ على تداخل الشَّيء بعضه في بعضٍ مع عُلُوٍّ فيه[6].

ومِنْهُ المشاجرة؛ وهي: المنازعَةُ والمخالفة؛ إذْ يتدَاخَلُ كلامُ بعضِ المتشاجِرين في بعضٍ، وتَعْلُو أصواتُهُمْ[7].

والشَّجرُ في قول اللّه تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: 6] ما له ساقٌ، ويقابله النَّجْمُ، وهو ما ليس له ساقٌ[8]، ففي الشَّجَرِ ارتفاعٌ، وفي فروعِهِ تداخُلٌ.

والشَّجرة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾: واحدةُ الشَّجَرِ مِمَّا يقومُ على ساقٍ.

4) ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: مادَّةُ الزَّاي واللَّامان تدُلُّ على انزلاقٍ عَنِ الموضع لاستوائه معَ مَلَاسَته التَّامَّة[9].

ومِنْهُ المَزَلَّةُ؛ وهي: المكانُ الدَّحْض الزَّلِق، وتُطلقُ على الزَّلَلِ فِيهِ[10].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، ونشوان الحِمْيَرِي، شمس العلوم: (رغد).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (رغد).
(3) ابن سيده، المخصّص: 3/455.
(4) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 46.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 1/515، 516.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شجر).
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شجر)، والزَّبيديّ، تاج العروس: (شجر).
(8) الفرَّاء، معاني القرآن: 3/112.
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (زلل).
(10) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (زلل).

ويطلق الزَّلل في الحقيقة على انزلاق القدم، ويطلق مجازًا على الخطأ في الرَّأْي والنَّظر[1]، يقال: زلَّ الرَّجلُ في دينه؛ إذا أخطأَ فِيهِ، فأتى فِيهِ مَا لَيْسَ لَهُ أَنْ يأتيَهُ، وأزَلَّهُ غيرُهُ؛ إذا سبَّبَ له ما يَزِلُّ من أجلِهِ في دينٍ أو دنيا[2].

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، أي: حَمَلَهُمَا على الزَّلَلِ بِتَزْيِينِهِ وإغوائِهِ[3]، والمرادُ بالزَّلِلِ ههنا: العصيانُ[4].

5) ﴿عَدُوٌّ﴾: العَيْنُ والدَّال والواو تَرجِع اشتقاقاتُها إلى تجاوزٍ في الشَّيْءِ وتقدُّمٍ لِمَا يَنْبَغِي أن يُقتصَرَ عَلَيْهِ[5].

والعَدَاوَةُ: المباعدَةُ والخُصُومَة[6]، والعَدُوُّ: ضدُّ الصَّديق والوليِّ[7]؛ وهو المخاصِمُ المباعِدُ، وقد يُتوسَّعُ في معناه فيُطلق على كلِّ مَن سرَّه مساءَةُ شخصٍ أو غَمَّهُ فرحُهُ[8]، وهذا يكون في الغالب لِلْمُخاصِمِ.

والعَدُوُّ: اسمٌ يقع على الواحد والمثنَّى والجمع، مؤنّثًا كان ذلك أو مُذَكَّرًا[9].

ومعنى قولِه ﷻ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ أي: اهبطوا مُتَعَادين[10]، أو: اهبطوا وستكون بينَكُم عداوةٌ.

6) ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: تدلُّ مادةُ القافِ والرَّاءان على ثَبَاتِ ما شأنُه التَّسيُّبُ، وامْتِسَاكُه في قاعٍ عميق[11].

ومِنْهُ القُرارة؛ وهي: مَا لَزِقَ في القِدْرِ من مَرَقٍ أَو تابَلٍ مُحْتَرِقٍ أَو سَمْنٍ أَو غَيْرِه[12]، سُمِّي بذلك لاستقرارِهِ أسفَلَها، والقَرارةُ: كلُّ مطمئنٍّ انْدفع إِلَيْهِ المَاءُ، فاستقَرَّ فِيهِ[13].

(1) الزَّمخشريّ، أساس البلاغة: (زلل)، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/433.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 1/524.
(3) الزَّجَّاج، معاني القرآن: 1/115، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 49.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/433.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (عدو).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (عدو).
(7) الجوهريّ، الصِّحاح: (عدا)، وابن سيده، المحكم: (عدو).
(8) البهوتّي، الرَّوض المُرْبِع، ص: 723.
(9) الخليل، العين: (عدو).
(10) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/73.
(11) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مكن).
(12) ابن سِيده، المحكم: (قرر).
(13) الزَّبيديّ، تاج العروس: (قرر).

والـمُسْتَقَرُّ اسمُ مكانٍ مِنَ الفعل: استقرَّ، يقال: قرَّ بالمكانِ واستقرَّ؛ أي: أقامَ فِيهِ، فالـمُسْتَقَرُّ: مكان قرارٍ وإقامةٍ[1].

والمستقرُّ في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ يَحْتَمِلُ أن يكُونَ مصدرًا أو اسمَ مكانٍ أو اسمَ مفعولٍ[2]، وهذه المعاني لا تعارُضَ بينَهَا، ويمكنُ حملُ اللَّفظِ عَلَيْهَا جميعِهَا، والمعنى حينئذٍ: ولكم في الأرض استقرارٌ، ومكانُ قرارٍ، ولكم ما استقرَّ مُلْكُكُم عَلَيْهِ وجَازَ تصرُّفكُم فِيهِ[3].

7) ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: يدلُّ الجذر اللُّغويّ الميمُ والتَّاء والعَيْنُ على منفعةٍ وامتدادِ مُدَّةٍ في خيرٍ وقوَّةٍ وكمالِ حالٍ[4].

ومِنْهُ قوله تعالى: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: 3] أي: يَبْسُط عَلَيْكُمْ مِنَ الدُّنيا ويرزقكم مِنْ زينتِها، ويَنْسَأُ لَكُمْ في آجالكم إِلَى وقتِ وفاتِكُمْ ولَا يَسْتَأْصِلكم بِعذابٍ[5].

ومِنْهُ: المَتَاع؛ وهو في الأَصْل: كلّ شَيْءٍ يُنتفَع بِهِ ويُتبلَّغ بِهِ ويتزوَّدُ[6]، وهو المرادُ في قوله سبحانه: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

8) ﴿حِينٍ﴾: الحاء والياء والنُّون تدلُّ اشتقاقاتُها على معنى الزَّمنِ، فالحينُ: هو الزَّمان، قليلًا كان أو كثيرًا[7].

ومِنْهُ قولُه سبحانه: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: 88]، أي: بعد زمنٍ لم يُنَصَّ لَهُمْ على أمَدِهِ[8]، وذلك إمَّا عند نزول العذاب عَلَيْهِمْ أو حُلولِ الموتِ بِهِمْ، أو نحو ذلك[9].

والحينُ في قوله تعالى: ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ من هذا الباب؛ وهو زَمَنٌ غير مُحَدَّدٍ؛ إِذِ المرادُ: زمنُ انقضاء الأجلِ، وذلك يَخْتَلِفُ مِنْ وَاحِدٍ لآخَرَ.

---

(1) الواحديّ، التَّفسير الوسيط: 1/124، والسّيوطيّ، نواهد الأبكار: 2/207، والقِنَّوجي، فتح البيان: 1/137.
(2) الزّمخشريّ، أساس البلاغة: (قرر).
(3) السّيوطيّ، نواهد الأبكار: 2/207.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (متع)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (متع).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/229، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (متع).
(6) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (متع).
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حين).
(8) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 256.
(9) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 5/35)، والسعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 717.

9) ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾: اللَّام والقاف والياءُ تدلُّ على معانٍ، المناسبُ لها ههنا: دِلَالتها على تَوَافِي شيئَينِ مُتَقَابِلَيْنِ[1]، ومِنْهُ: التَّلَقِّي؛ وهو استقبالُ ما يُلْقَى[2]، ويُطْلَقُ على استقبالِ مَن جاء من بعيدٍ[3].

وَأَمَّا قَوْل الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾؛ فالمرادُ: أنَّه قَبِلَهَا وَأَخذهَا عَنْهُ[4].

10) ﴿كَلِمَٰتٍ﴾: الكاف واللَّام والميم تدور اشتقاقاتها على معانٍ، والمناسب منها لهذا المقام ما دل على النُّطْقِ المُفْهِم، ومِنْهُ: الكَلامُ[5].

والكلمات جمعُ كلمةٍ؛ والكَلِمَةُ في لغة العرب: الجملةُ التَّامَّةُ، وهو معنًى مُطَّرِدٌ لها، كما قال ابن تيميةَ: "ولا يوجد قطُّ في الكتاب والسُّنَّة وكلام العرب لفظُ الكلمة إلَّا والمراد به: الجملة التَّامَّة"[6].

والكلمات في قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾: اعْتِرَاف آدم وحوَّاء بالذنبِ[7]؛ وهو الواردُ في قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

11) ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: التَّاء والواو والباء تدلُّ تصاريفُها على الرُّجوعِ، يقال: تابَ مِنْ ذنبه؛ أي: رجع عَنْهُ[8]، وتاب إلى اللهِ؛ عادَ إِلَيْهِ بالطَّاعَةِ بعدَ المَعْصِيَةِ، وتاب اللهُ على العبد؛ رجع إِلَيْهِ بالمغفرة[9].

والتَّوابُ يقع وصفًا لِلْعَبْدِ، ويقع اسمًا ووصفًا لله تعالى.

فأمَّا (التَّوابُ) باعتبارِهِ وصفًا للعبد؛ فهو كثيرُ التَّوبةِ، كما تدلُّ عليه صيغةُ المبالغَةِ، ومِنْهُ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (لقي).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: (لقى).
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 2/138.
(4) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/38.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كلم).
(6) ابن تيميَّة، مجموع الفتاوى: 12/104-105.
(7) ابن سِيده، المحكم: (كلم).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (توب).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: 14/236.

وأمَّا التَّواب في حقِّ الله سبحانه، وهو الوارد في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ فالمرادُ: أنَّه كثير التَّوبة على عباده، يوفِّقُهم لها ويقبلُهَا مِنْهُمْ[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

قالَ الله سبحانه لآدم عليه السلام: اسكُن أنت وزوجُك حوَّاء الجنَّة، وكُلا مِن ثمارها أكلًا واسعًا هنيئًا لا عَناءَ فِيهِ ولا ضِيقَ، في أي مكانٍ شئتُمَا فِيهَا، وإيَّاكُما أن تقربَا هذه الشَّجرةَ المعيَّنَةَ أَوْ نَوْعَهَا؛ لئلَّا يَجُرَّكما ذلكَ إلى الأكل مِنْهَا، فتَصِيرا ظالمَيْنِ لأنفسكما بالوقوعِ في الذي نهيتُكُم عَنْهُ.

فأغواهما الشَّيطانُ وتسبَّبَ في خطئِهما وهفوَتِهِمَا، فأخرجَهُما مِمَّا كانا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ والعيش الرَّغيد، وأَمَرَهُم الله سبحانه بالهُبُوطِ إلى الأرض - آدم وحواء والشيطان -، وأعلمهم بأنه سَتَكُونُ ثَمَّة عداوةٌ بين آدَمَ وذُرِّيَّتِهِ وإبليسَ وذُرِّيَّتِهِ، وأنَّ لَهُمْ في الأرض موضعَ استقرارٍ وما يستَمْتِعُونَ بِهِ مِنْ أكلٍ ولُبْسٍ وأُنْسٍ وغير ذلك، إلى وقت انقضاء آجالهم.

فَأَخَذ آدَمُ عليه السلام بالقَبُولِ كَلِمَاتٍ ألهَمَهُ الله تعالى الدُّعاءَ بِهِنَّ؛ ليكُون ذلك مِنْهُ توبةً واستغفارًا، وهذه الكلماتُ هي المذكورة في قوله عز وجل: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]؛ فقَبِلَ الله توبتَهُ وغفرَ لَهُ؛ فإنَّه عز وجل كثير التَّوبة على عباده، يوفِّقُهم لها ويقبلُهَا مِنْهُمْ، وهو سُبْحَانَهُ رَحِيمٌ بِهِمْ[2].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

بلاغةُ عَطْفِ القِصَّةِ عَلَى القِصَّةِ:

الشُّروعُ في بيانِ التَّكليف إثر الشُّروع في بيانِ الخلافةِ

عُطِفَ قولُ الله عز وجل: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ على قولِه سُبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ من باب عطف القصَّة على القصَّةِ؛ لكونهما مشتركَين في ذكر قِيلِ الله عز وجل لبعض خَلْقِهِ وإن اختلَفَ جنسُ المخلوقِ، فالأوَّلُ: مَلَكٌ، والثَّاني:

(1) سعيد القحطانيّ، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 110.

(2) أبو عبيدة، مجاز القرآن: 1/38، والثَّعالبي، الجواهر الحسان: 1/221، 222، والسُّيوطي، تفسير الجلالين، ص: 9، والسعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 49، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/198 199، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 6.

بَشَرٌ، واشتركت الآيتان في تَعدادِ نِعَمِ إكرامِ اللّه تعالى لآدمَ [1] عليه السلام، وفائدةُ العَطْفِ تكمُنُ في بيانِ ما يترتَّبُ على آدمَ من التَّكاليف؛ فإنَّ إكرامَه ليس بمعزِلٍ عنِ التَّكليفِ، والنَّهيُ عن الأَكْلِ من الشَّجَرَةِ بدايةُ التَّكليفِ.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِضَمِيرِ الجَمْعِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا﴾:

عَظَمَةُ مِنَّةِ الله تعالَى على آدَمَ عليه السلام بِإِسْكانِه وزَوْجِه الجنَّةَ

وفي التَّعبير بالنُّون في قوله سبحانه: ﴿وَقُلْنَا﴾ إيماءٌ إلى تشريفِ القول وتعظيمِه والاهتمام به[2]، وفيه تَنْبيهٌ إلى عَظَمَةِ الأمرِ المذكورِ بَعْدَهُ، وأنَّه حقيقٌ بأَنْ تتوجَّهَ العنايةُ إليه.

نُكْتَةُ تَصْدِيرِ الكَلَامِ بِنِدَاءِ آدَمَ عليه السلام:

إلقاءُ المسؤوليَّةِ على الرَّجلِ، وجعلُ زَوْجِه تَابِعَةً لَهُ

تَصْدِير الكلام بالنِّداء في قول الله ﷻ: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ﴾ دالٌّ على الاهتمام بتلقِّي المأمور به، وفيه تحريكُهُ لما يُخاطَبُ به؛ لكونه مِنَ الأمور التي يَنْبَغِي أن يتوجَّهَ إليها[3].

وتخصيصُ أصل الخطاب بآدَمَ عليه السلام مُشعِرٌ بأصالتِه في تعاطِي المأمورَاتِ[4]، فهو مقصود بالخطاب أصلًا وزوجُهُ تَبَعٌ لَهُ.

في نداء آدم باسمه رَفعُ مَكانته في الملأِ الأَعْلَى:

نداءُ الله تعالى لآدم عليه السلام قبل تخويله سُكْنَى الجنَّة تَنْوِيهٌ بذِكْرِ اسمه في الملأ الأعلَى؛ إذ ذلك يَسْتَرْعِي أسماعَهم فيتطلَّعُونَ لِمَا سَيُخاطَبُ به[5].

غرضُ الأَمْرِ فِي ﴿ٱسْكُنْ﴾ الامتنانُ:

لازمُ الأمرِ في قولِ الله تعالى: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ﴾ يُراد به الامْتِنانُ عَلَيْهِ بالتَّمكين والتَّخويلِ، ولازمُ ذلك الإباحةُ؛ فإنَّ الامتنانَ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/428.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/102.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 1/234.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/90، والقُوجَوِيّ، حاشية زاده على البيضاويّ: 1/537.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/428.

لا يقع إلَّا بالمباح، ولا يُرادُ به أمرُ إيجابٍ؛ إذْ سعيُهُ بنفسهِ لسُكْنَى الجنَّة لا قدرةَ لَهُ عَلَيْهِ، فلا يدخُل في الإيجاب[1].

سِرُّ الأمرِ بالإفرادِ دون التَّثنيةِ:

بيانُ المقصودِ بالخِطَابِ أصالةً وتبعًا

خُوطِبَ آدمُ عليه السلام بقول الله تعالى: ﴿ٱسۡكُنۡ﴾ ثُمَّ عُطِفَ عَلَيْهِ زَوْجُهُ بقوله سبحانه: ﴿أَنتَ وَزَوۡجُكَ﴾، ولم يخاطبها معه بالتَّثنية: (اسْكُنَا)؛ لِلْإيمَاء إلى أنَّهُ هو المقصودُ بالحكم، وأنَّ المعطوف - وهي زوجُهُ - تبعٌ لَهُ، فَفِيهِ التَّنبيه أنَّه لولاهُ لَمَا كانَت مأمورةً بذلكَ، كما تُفرِّق العربُ بين قول القائلِ: افعل أنت وقومُكَ كذا، وبين: افعلوا كذا[2].

فَائِدَةُ الضَّمِيرِ المُنْفَصِلِ:

صحَّةُ العطفِ، وتكريمُ آدمَ بتخصيصِه بالضَّميرِ

جيءَ بالضَّميرِ المنفصلِ ﴿أَنتَ﴾ في قوله عز وجل: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾؛ لسببٍ لفظيٍّ وآخر دلاليّ: أمَّا اللفظيُّ؛ فليصحَّ العطفُ على الضَّمير المستترِ المرفوعِ في ﴿ٱسۡكُنۡ﴾[3]، وفيه تقريرٌ لمدلولِ المعطوفِ؛ "لئلا يكون تابعهُ المعطوف عليه أبرزَ مِنْهُ في الكلام"[4].

وأمَّا الدّلاليّ؛ فهو تكريمُ آدمَ عليه السلام وتخصيصُه بالضميرِ، واندرجتِ الزَّوجُ في الأمرِ -وإن كان الغائبُ لا يُؤمَرُ بلفظ الحاضرِ-؛ تغليبًا لِلْحَاضِرِ وهو آدمُ عليه السلام.

معنى اللَّامِ في كلمةِ ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾:

تعريفُ الجنَّةِ باللَّام لا يُرادُ به الاستغراقُ؛ إذْ سكونُ جميعِ الجِنَانِ محالٌ، فتكون اللَّامُ لِلْعَهْدِ الحضوريِّ، وهي الجنَّةُ التي عَرَفهَا آدمُ[5] عليه السلام.

---

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/252، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/428.
(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/152، والبيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/72.
(3) ابن عقيل، شرح ألفيَّة ابن مالك: 3/236-238.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/428.
(5) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/253.

نُكْتَةُ التَّثنيةِ بعد الإفرادِ:

استقلالُ حوَّاء عن زوجِها في الأكْلِ، بخلافِ السُّكنى

الأمر في قوله جَلَّ وعلا: ﴿وَكُلَا﴾ يُراد به الامتنانُ، ووُجِّه الخطابُ في قوله سبحانه: ﴿وَكُلَا﴾ لآدمَ وحوَّاءَ معًا، بخلاف قوله قبلُ: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾؛ فإنَّه وجَّه الخطابَ أصالةً لآدمَ عليه السلام وجعلَ زوجَهُ تابعةً لَهُ فِيهِ؛ وذلك لِتعميمِ التَّشريفِ والتَّرفيهِ، ولِلْمُبَالغةِ في إزالة الأعذار، والإيذانِ بتساويهِمَا في مباشرةِ المأمور بهِ؛ "فإنَّ حوَّاءَ أُسوةٌ لَهُ عليه السلام في الأكلِ، بخلاف السَّكنِ؛ فإنَّها تابعة لَهُ فِيهِ"[1].

فنُّ الِاسْتِخْدَامِ:

إباحةُ الأكْلِ مِنَ الجَنَّة لآدم وحوَّاء على سَبيل الاتِّساعِ لا الحَصْرِ

الضَّمير في ﴿وَكُلَا مِنْهَا﴾ راجعٌ إلى الجنَّةِ على حذف مضافٍ، والتَّقدير: كُلَا من مطَاعِمِهَا؛ ففي الآية استخدامٌ[2]؛ فإنَّ الاسمَ الظَّاهرَ للجنَّةِ يُرادُ بها دارُ الثَّوابِ نفسُهَا، وعاد عَلَيْهِ ضميرٌ على معنَى المطاعِم التي فِيهَا، ونُكْتَةُ الاستخدام: الإيذانُ بإباحةِ الأكلِ لَهُمَا مِنَ الجنَّة على سبيل التَّوسعةِ[3]، فكلُّ ما في الجنَّةِ مُبَاحٌ لهما أَكْلُهُ.

ويقوِّيه وجهان:

أحدهما: قولُهُ بعدُ: ﴿رَغَدًا﴾، أي: أكلًا واسعًا هنيئًا.

والآخر: قولُهُ: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾، ففيهِ عُمومُ الإباحةِ والإذنِ؛ إذْ إنَّ مشيئَتَهُمَا لا تنحَصِرُ[4].

تَوْجِيهُ المُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

دِقَّةُ التَّعْبِيرِ القُرْآنِيِّ في استخْدَامِ حرُوفِ المَعَانِي

وَرَدَ الفعل (كُلَا) مقرونًا بالواو ههنا، وورد مقرونًا بالفاء في سورة الأعراف في قول الله تعالى: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/90.
(2) الاستخدام: أَنْ يُذكر لفظٌ بمعنًى، ثمَّ يُعادَ عليه ضميْر أو إشارةٌ بمعنًى آخَرَ، ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص: 239.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/255.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/432.

﴿ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: 19]؛ وذلك لأنَّ الأكلَ من موضعٍ ما لا يكون إلَّا بعد مطلَقِ الدُّخول، سواءٌ أكان الدُّخول دخولَ سُكْنَى أم لا، وآية الأعراف وردت بعد قوله سبحانه لإبليسَ: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: 18]، ثُمَّ جاءَ الأمرُ لآدمَ عليه السلام بقوله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، فكان معناه: دخولَ سُكْنَى؛ وهو دخولُ إقامةٍ لا مطلق الدُّخول، فكان الأنسبَ مَعَهُ العَطْفُ بالفَاءِ؛ إذْ إنَّ الدُّخول متقدِّم على الأكل، ويتأتَّى في مطلقِ الدُّخولِ التَّعقيبُ، بخلاف آية البقرة؛ فإنَّه لم يتقدَّمها ما يدلُّ على دخولٍ سابقٍ، فلم يصلح فِيهِ العَطْفُ بالفاءِ؛ لاستدعاء ذلكَ زمنًا ممتدًّا[1].

بَلَاغَةُ الكِنَايَةِ:

النَّهيُ عن قربانِ الشَّجَرَةِ أشدُّ من النَّهي عن الأكلِ منها

نهَى اللهُ ﷻ آدمَ عليه السلام وزوجَهُ من قربان الشَّجرةِ، والمقصود: النَّهيُ عن الأكلِ مِنْهَا، فيكون النَّهْيُ عَنِ القربان من بابِ الكِنَايةِ لا من بابِ المجازِ المُرْسَلِ بعلاقة السَّبَبِيَّة؛ لصحَّة إرادة المعنى الأصليِّ وهو النَّهي عن ذاتِ القرْبَان، فإنَّ السَّببَ الدَّاعيَ إلى الشَّرِّ مَنْهِيٌّ عَنْهُ[2].

ونكتةُ التَّعبير بالكناية: المبالغةُ في التَّحذير من ذلك؛ ولأنَّ قربانَها ينشأُ عَنْهُ داعيةٌ وميلٌ يُلهي القلبَ عمَّا هو مقتضَى الشَّرع والعقل[3].

فائِدَةُ الإِتْيَانِ بِاسْمِ الإِشَارَةِ ﴿هَٰذِهِ﴾:

تصويرُ المشْهدِ للمخاطَبِ؛ ليعلَمَ تعيينَ الشَّجرةِ لآدَمَ حينَ أَكَلَ منها

الإتيانُ باسم الإشارةِ ﴿هَٰذِهِ﴾ للدّلالة على حضورِ هذه الشَّجرةِ المشارِ إِلَيْهَا؛ إذِ الأصلُ في اسم الإشارة أن يكونَ لحاضرٍ، ونُكْتَةُ الإتيان باسم الإشارَةِ هَهُنا: تمييزُ المشَارِ إِلَيْهِ أكملَ تَمْييزٍ[4]، وفائِدةُ

(1) الخطيب الإسكافي، درَّة التَّنزيل: 1/222، 225، والكرمانيّ، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 70، والفخر الرَّازيّ، التَّفسير الكبير: 3/453.
(2) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/72، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/432.
(3) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/72، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/432.
(4) الطِّيبي، فتوح الغيب: 2/440.

ذلك: تصويرُ المشْهدِ للمخاطَبِ؛ لِيعلَم أنَّ آدَمَ عليه السلام قد رأى الشَّجرةَ عيانًا، ولم يلتبِس عليه الأمرُ حين الأكلِ منها.

اللَّامُ فِي ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ للعهدِ الحضوريِّ:

التَّوْسِعَةُ علَى آدَمَ في الِانْتِفَاعِ بِثَمَرِ الجَنَّة

اللَّام في الشَّجرةِ لِلْعَهدِ، أي: شجرةٌ وحيدةٌ وَحْدَةً شخصيةً، ويحتمل أن تكُون اللَّامُ لِلْجِنْس، فتكون الوحدةُ نوعيةً، والمرادُ: شجرةٌ مِن نوعها.

واسْتَظْهَرَ الطِّيبيُّ الأوَّل؛ لأنَّه أظهرُ لإزاحة العُذْرِ وأبلغُ في الدّلالة على التَّوسعة في الِانْتِفاعِ بثَمَر الجنَّة[1].

التَّعْبِيرُ بِـ ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ دُونَ (فَتَكُونَا ظَالِمَيْنِ) للمبالغةِ في التَّحذيرِ:

جاء النَّظم القرآنيُّ ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ولم يَرِدْ (فَتَكُونَا ظَالِمَيْنِ)؛ للدّلالة على شِدَّةِ التَّحذيرِ من مخالفةِ أمرِ الله تعالَى؛ فإنَّ الاقترابَ من الشَّجرةِ عصيانًا لأمرِ الله تعالَى هو ظلمٌ للنَّفسِ، وهذا التَّعبيرُ أفادَ الإغراقَ في الظُّلْم، كما فرَّق أهلُ العلم بين قول القائل: زيدٌ مِنَ العُلَماء، وقوله: زيدٌ عالمٌ؛ فإنَّ الأوَّلَ أبلغُ؛ لاقتضائِهِ أنَّه غارقٌ في العلمِ أبًا عَنْ جدٍّ[2].

دلالة الفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾:

التَّعقيبُ بالنسبةِ للشَّيطانِ لا بالنسبة لهما

الفاء في قوله سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ إمَّا أن تكون تفريعيَّةً مجرَّدَةً عن دلالة التَّعقيبِ، وإمَّا أن تكونَ دَالَّةً على التَّعقيبِ، ومعناه في هذا السِّياقِ ترقُّبُ الشَّيطانِ لهما، فبمجرَّد تمكُّنِه من الوسوسةِ أزلَّهما، فالتَّعقيبُ له لا لهما. أو يكون معناه: وإن وقع متراخِيًا بعد المُدَّةِ المقصودةِ مِنَ سكنى الجنَّة؛ فإنَّه كالمدَّةِ اليسيرةِ[3].

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب: 2/441، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/432.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/236.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/433.

نُكْتَةُ الاسْتِعَارَةِ:

التَّنْفِيرُ مِنْ مُواقعةِ الخطَايَا تشبيهًا لمن يقعُ فيها بمن لم تتمكَّن قدماه من الأرض

والإزْلَالُ في قوله سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ يُرادُ به: حملُهُما على الزَّلَلِ؛ وهو هنا العصيانُ[1].

وأصلُ الزلَّلِ أن يكون في القدَمِ، وإطلاقُهُ على صدور الخطيئة مجازٌ بالاسْتِعَارَةِ؛ فقَدْ شُبِّهَتْ حركَةُ الرِّجْلَيْنِ على الأرض دون اختيارٍ لرخاوةٍ في الأرضِ بسبَبِ طينٍ أو نحوِ ذلك؛ بِصُدور الخَطيئةِ والغلطِ المُضِرِّ، بجامع وقوعِ الضَّرَرِ في كُلٍّ مِنْهُمَا، فحُذف المُشَبَّهُ بِهِ ورُمزَ له بشيء مِن لوازمِه، على طريقة الاسْتِعَارَةِ بالكِنَايةِ. وفائدتُها: إبرازُ الأمرِ المعنويِّ في قالبِ المحسوسِ؛ ليكون أظهرَ في الدّلالة وأشدَّ تنفيرًا من مُواقعةِ الخطَايَا، كما يتحاشا المَرْءُ زَلَلَ قَدَمَيْهِ.

التَّكَامُلُ الدّلَالِيُّ بَيْنَ قِرَاءَةِ ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ وَقِرَاءَةِ ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾:

التَّنبيهُ على خطرِ البداياتِ؛ فبدايةُ الزَّلَلِ أدَّت إلى الإزالةِ من الجنَّة

قرأ العشرةُ عدَا حمزةَ ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾، وأما حمزةُ فقرأ ﴿فَأَزَالَهُمَا﴾ بتخفيف الزَّاي وزيادةِ ألف بينها وبين اللَّام[2].

فأمَّا قراءة الجمهور ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾ فمعناها: حَمَلَهُما على الزَّلل وأوقعهما فِيهِ، و(عَنْ) لِلسببيَّةِ، والضَّمير يعود إلى الشَّجرةِ؛ إذ هي أقربُ مذكور، أي: حملهما الشَّيطانُ على الزَّلَّةِ بسببها[3].

وأمَّا قراءة حمزة ﴿فَأَزَالَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾؛ فَبِمَعْنَى: نحَّاهُما وأبعدهما، والضميرُ راجعٌ إلى الجنَّةِ.

ويظهرُ التَّكاملُ الدّلاليُّ بين القراءتين في حَمْلِ قراءة الجمهورِ على البدايةِ؛ ذلك أنَّ أوّلَ ما وَقَعَ هو الحملُ على الزَّلَلِ والوقوعُ في الخطيئةِ،

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/433.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/211.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/262.

وحَمْلِ قراءةِ حمزة على النَّهاية؛ ذلك أنَّهما لمَّا عَصَيَا أُزيلا عن الجنَّة، فكانتِ البدايةُ من الشَّجرَةِ، وكانت النِّهايةُ من الجنَّة.

دلالة اللَّام في ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾:

اللام في ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ للعهدِ الكنائيِّ، وهو إبليس، وإنما كان عهدًا كنائيًّا لا صريحيًّا مع تقدُّمِ ذكرِهِ؛ لأنَّ تقدّمَ ذكره لم يكن باللفظ الذي هو مدخول اللام ههنا، بل بلفظٍ آخرَ.

نُكْتَةُ الإِبْهَامِ بِالاِسْمِ المَوْصُولِ:

توريثُ السَّامعِ الحسرةَ على الجنَّةِ ليحرصَ على الطَّاعةِ وسُلَّمِ الوصولِ

(مَا) في قوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ اسم موصولٌ بمعنى الذي، والمعنى: فأخرجهما من الذي كانَا فيهِ، والمرادُ بالموصولِ وصلتِهِ: تعظيمُ ما كانا فيهِ مِنَ النَّعيم[1]، وذلك أنَّ من أساليب البلاغة في الدّلالة على عِظَمِ الشيء وفخامَتِهِ: التَّعبيرَ عَنْهُ بلفظٍ فيه إبهامٌ؛ لتذهب النَّفسُ في تصوُّر عظمته وكماله كلَّ مَذْهَبٍ[2]، وفائدةُ ذلك توريثُ الحَسْرَة عند السَّامعِ فيتمنَّى أنْ لم تقعِ الزَّلَّةُ، فيقودُه ذلك إلى طريقِ الطَّاعةِ، وسُلَّمِ الوصولِ.

سِرُّ العَطْفِ بِـ (الوَاوِ) دُونَ (الفَاءِ):

مِنْ أفانينِ البَلَاغَةِ قَرْنُ النَّظِيرِ بِنَظِيرِهِ

عُطِفَ قولُه سبحانه: ﴿وَقُلۡنَا﴾ بالواو دون الفاءِ؛ لأنَّ هذا القول ليس متفرِّعًا عَنِ الإخراج مِنْ نعيم الجنَّةِ، بل هو متقدِّمٌ عَلَيْهِ زمَنًا، وإنَّما ذُكر الإخراج قبلَهُ؛ لاقتضاء السِّياقِ لَهُ؛ بسَرْدِ ما فعله الشَّيطانُ بآدمَ[3] عليه السلام.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالجَمْعِ فِي ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾:

تحفيزُ الهِمَمِ للإيمانِ والعملِ على دخولِ الجنَّةِ، ودفعِ العجزِ واليأسِ

وُجِّه الأمرُ للجمعِ في قولِه: ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ لأنَّ المرادَ هبوطُ آدم وحوَّاء وذُرِّيَّتِهما؛ فإنَّ خروجَهُما مِنَ الجنَّة يقتضي عدمَ وجودِ نسلٍ لَهُمَا

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/434.
(2) محمد علي جميل، صفوة التَّفاسير: 1/44.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/434.

فِيهَا، فكان إهباطُهما إهباطًا لَهُمْ، وهذا أدْعى لوجودِ الحسْرَةِ المُلهبَةِ للعملِ للجنَّةِ، وأمتنُ في أملِ العَودَةِ لها، ففيه زرعٌ لبُذُورِ الأملِ لدى المخاطَبين، بما يدفعُ عنهم الشُّعورَ بالعجزِ واليأسِ من دُخولِ الجنَّة.

واستظهر ابنُ عَاشُور أنَّ الضَّمير وإن كان لِلْجَمْعِ؛ فإنَّه يُراد به التَّثنيةُ، وعُدِلَ عن التَّثنية إلى الجمع؛ لاستثقال توالي المثنَّيات إظهارًا وإضمارًا، فيكون: "وكُلَا مِنْهَا رغدا حيث شئتُما ولا تقربا هذه الشَّجرة فتكونَا مِنَ الظَّالمين، فأزلَّهما الشَّيطان عَنْهَا فأخرجهما ممَّا كان فِيهِ وقلنا اهْبِطا..."، والعَرَبُ تكرَهُ كَثْرَةَ توالي ذلك[1]، ومِنْهُ قولُ امْرِئِ القيس في معلَّقته[2]:

وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ *** يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

توجيهُ فَصْلِ جُمْلَةِ ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عَمَّا قَبْلَهَا:

جملةُ ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يحتمل أن تكون حالًا، والتقدير: اهبطوا مُتَعَادِينَ[3]، ويحتمل أن تكون جملةً مستأنفَةً استئنافًا بيانيًّا؛ أي: واقعةً في جواب سؤال مقدَّرٍ[4]؛ وهو: ما يكون حالنا بعد هذا الإهباطِ؟

فجاء الجواب: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، وفائدة ذلك: تعليمُ النَّاسِ مآلَ المعصيةِ، وأنَّ الطّاعةَ تقودُ إلى السِّلمِ والأمانِ.

تحذيرُ النَّاسِ من مآلِ المعاصي، وهو العداوةُ وعدمُ الأمانِ

دلالة اللَّامِ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

اللَّامُ في كلمةِ ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ لِلْعَهْدِ العلميِّ؛ وهي الأرضُ التي استقرَّ عَلَيْهَا آدمُ عليه السلام واستقرَّت عَلَيْهَا ذرِّيتُهُ مِنْ بعدِهِ، وذلك بتذكيرِ المخاطَبين بالأرضِ التي ذَكَرَ اللّه تعالَى أنَّه سيجعلُ فيها خليفةً؛ لتطبيقِ شرعِه.

دلالة حَرْفِ العَطْفِ (الفَاءِ) فِي ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾:

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ﴾ دالَّةٌ على التَّعقيبِ كما هو الأصلُ فِيهَا، وفي ذلك دلالة على سُرعة إلهام اللّه تعالى لَهُ المبادرَةَ

تعليمُ النَّاسِ المُبَادَرَةَ إلى التَّوْبَةِ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/435.
(2) عبد الرَّحمن المصطاوي، ديوان امرئ القيس، ص: 24.
(3) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/73.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 2/445.

بالتَّوبةِ[1]، ومبادرةُ آدمَ عليه السلام لطلب العفوِ ولِلْعَمَلِ بتلك الكلماتِ حالَ تلقِّيها مِن ربِّه تبارَكَ وتعالى.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالتَّلَقِّي:

توجيه العبادِ إلى إكْرَامِ الكَلِمَاتِ المُتَلَقَّاةِ عَنِ الله تعالى

التَّعبير بالتلقِّي في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ﴾ دون (أَخَذَ) ونحوِهَا؛ لنُكْتَتَين[2]:

إحداهما: أنَّ فيه إيماءً إلى أنَّ مرتكِبَ المعصيةِ في نوعٍ مِنَ البُعْدِ؛ إذ إنَّ التلقِّيَ استقبالُ مَن جاءَ مِن بعيدٍ.

والأخرى: أنَّ التَّلقِّيَ وإن كان يُطلق على استقبال مَن جاءَ مِن بعيدٍ؛ فإنَّ الذي يُستقبَلُ مِن بعيدٍ هو من يَعِزُّ شأنُهُ عندَ المستقبِلِ، ويكون بأنواعٍ مِنَ الإكرام؛ فيكون إطلاقُ التَّلقِّي لِلْكَلِمَاتِ مُشعرًا بإكرام آدمَ عليه السلام إيَّاها، وبكونِ الكلماتِ مكرُمةً لهُ؛ إذْ كانت سببًا في عفو اللَّه تعالى عَنْهُ.

تَكَامُلُ الدّلالة بَيْنَ القِرَاءَتَيْنِ:

التَّلَقِّي يَقْتَضِي مُشَارَكَةَ أَمْرَيْنِ؛ كُلٌّ مِنْهُمَا مُتَلَقٍّ وَمُتَلَقَّى

قرأ جمهور القرَّاء: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ برفع (ءَادَمُ) على الفاعليَّةِ، ونصبِ (كَلِمَٰتٍ) على المفعوليَّةِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ بالعكسِ؛ فنصب (ءَادَمُ) على المفعولية، ورفع (كَلِمَٰتٍ) على الفاعليةِ[3].

فأما قراءة الجمهور؛ فلأنَّ العرب تقول: تلقّيتُ كذا من فلانٍ؛ أي: قَبِلْتُهُ، فيكون آدمُ عليه السلام قابلًا، والكلماتُ مقبولةً.

وأما قراءة ابن كثيرٍ؛ فوجهها: أنَّ العرب تقول: تلقَّيتُ فلانًا وتلقَّاني، والمعنى عندهم واحدٌ؛ إذْ إنَّ من لقِيتَهُ فقد لَقِيَكَ[4].

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/105.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 2/138.
(3) ابن الجزري، النشر: 2/211.
(4) ابن زَنْجَلَة، حجَّة القراءات، ص: 94، 95، وابن خَالَوَيْهِ، الحُجَّة في القراءات السَّبع، ص: 75.

ووجه التَّكامل بين القراءَتَيْن؛ أنَّ آدمَ عليه السلام لـمَّا تلقَّى الكلماتِ تلقَّتْه؛ فمعنى تلقِّيه لها استقبَالُه لها، ورِضاه بها، ومعنى تلقِّيها له انطباقُها عليه بشرُوطِ القَبولِ، فقامَتِ القراءَتان مَقَامَ المشَارَكَةِ بين فاعِلَيْن.

دلالة التَّنْكِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلِمَٰتٍ﴾:

تعظيمُ الكَلِمَاتِ المُتلقَّاةِ عنِ الله تعالى

نُكِّرَت ﴿كَلِمَٰتٍ﴾ إشارةً إلى عَظَمَتِهَا؛ فهي كلماتُ عفوٍ ومغفرةٍ ورِضًا؛ بدليلِ استعمالِ فِعْلِ التَّلَقِّي معها؛ وهو فعلٌ دالٌّ على الإكرام.

ويقوِّيه قَرْنُ قولِه سبحانه: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ بالفاءِ، وهي سببيَّةٌ، ولو كانت تلك الكلماتُ كلماتِ توبيخٍ وزجْرٍ؛ لَمَا صحَّ التَّسَبُّبُ ههنا[1].

سِرُّ التَّعْبِيرِ بِالإفرادِ دون التَّثنيةِ:

الاكتفاءُ بمتابَعةِ المرأةِ لزوجِها رعايةً لسترِها وعظيم حُرمتها

ذُكرت توبةُ آدمَ عليه السلام وحده دون حوَّاءَ، مع أنَّ التَّوبةَ صادرةٌ عنْهُمَا معًا، كما هو الواردُ في قولِ الله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]؛ اكتفاءً بذِكْرِ متابعتِهَا لَهُ في سائر الأحوالِ، وهذا مِنْهَا.

ولأنَّ المرأةَ مستورةٌ ولها حُرمةٌ؛ فأرادَ الله تعالى لها السَّتْرَ فلم يذكرها في المعصية[2].

وثَمَّة نُكْتَةٌ أُخرى وهو أنَّ "الكلامَ جرى على الابتداء بتكريم آدمَ وجَعْلِه في الأرض خليفةً، فكان الاعتناءُ بذكر تَقَلُّبَاتِه هو الغرضَ المقصودَ"[3].

سِرُّ حَذْفِ فِعْلِ الرَّحْمَةِ:

التَّنبيهُ بالنَّتيجةِ على العِلَّةِ؛ فتوبَةُ اللهِ على عِبَادِهِ مِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ

ذُكرت توبةُ الله سبحانه على آدمَ عليه السلام بالفعل (تَاب) في قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ دون ذِكْرِ رحمتِه به؛ اكتفاءً بذكرِهَا في فاصلة الآيةِ، والتَّقدير: فتلَقَّى آدمُ مِن ربِّه كلماتٍ فتاب عَلَيْهِ ورحِمَهُ؛ إنَّه هو التَّواب الرَّحيم.

---

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/438.

(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 1/325.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/438.

بلاغةُ الفاصِلَةِ القرآنيَّةِ:

تعليلُ التَّوبَةِ بإلحاقِ الخَاصِّ بالعامّ

جاءَ التَّعبير في ختامِ الآية بقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وهو إطنابٌ بالتَّذييلِ، وهو تذييلٌ غيرُ جارٍ مجرى المثلِ؛ لأنَّه يُفيدُ ما أفادتْهُ الجملةُ قبلَهُ مَعَ ضَميمَةِ التَّعميمِ؛ إذْ قوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾؛ فيه ذكرُ توبتِهِ سبحانه على آدمَ عليه السلام، أمَّا قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ ففيه ذكرُ عمومِ توبتِهِ على مَن تابَ إِلَيْهِ، وفائدة التَّذْييلِ: تعليلُ توبةِ اللّه تعالى على آدَمَ عليه السلام.

فائِدَةُ قرْنِ اسمِ التَّوابِ بالرَّحيمِ:

تعْليلُ الأَسْمَاءِ بالأَسْمَاءِ؛ فإنَّ قَبولَ التَّوبةِ بسببِ الرَّحمَةِ

قَرْنُ اسمِ اللّه التَّوَّاب باسمه الرَّحيم؛ لكون الرَّحيم جاريًا مجرى العلَّةِ للتَّوابِ؛ فإنَّ قَبُولَ اللّه سبحانه توبةَ عبادِهِ هو مِن رحمتِهِ بِهِمْ[1].

سِرُّ تَأْكِيدِ الجُمْلَةِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ المُؤَكِّدَاتِ:

أُكِّدَت الجملةُ - ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، وهي جملة خبريَّةٌ - بأربعةِ مؤكِّدات:

أوَّلها: (إنَّ)، في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾.

ثانيها: القصر، وذلك بتعريف جُزأي الجملةِ.

ثالثها: ضَمير الفصل (هُوَ)؛ فإنَّه يقوِّي القصرَ في الجملةِ إذا وُجِدَ طريقٌ للقصرِ فيهَا -كما في هذه الآية-.

رابعُها: اسميَّة الجملة؛ فإنَّها آكدُ مِنَ الفعليَّةِ؛ لِمَا تُفيده مِنَ الثَّبات والدَّوام.

وفي تأكيدِهَا هذا التَّأكيدَ حثٌّ العبادِ على التَّوبة عمَّا بدَرَ منهم من الزَّلَلِ والخطايَا؛ فإنَّ توبة اللّه تعالى ليست مختصَّةً بآدم عليه السلام، بل تعمُّ جميعَ التَّائبينَ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/439.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

السُّكْنَى وَالإِقَامَةُ:

السُّكنى أخصُّ مِنَ الإقامة مطلقًا؛ فالسُّكْنَى هي إقامةٌ مع مكثٍ طويلٍ؛ إِذْ هِيَ الإقامة التي يَسْكُنُ بها المرءُ ويستقرُّ فِيهَا ويقيمُ فِيهَا شؤونَهُ، وهذا يقتضي زَمَنًا ممتدًّا، بخلاف الإقامةِ فتصدُقُ بأقلِّ الأزمِنَةِ[1].

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/103، و3/18، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 18/202.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»